

Abstract:

الملخص:

the study sheds light on the privacy cultural identity of the Algerian personality; that it Can not talk about cultural identity in Algerian society without reference to a number of pivotal and Fateful issues in its history and present; Particularly in what is related with its relationship to the values of the Islamic religion Under the ethnic and geographic affiliation scheduled In addition the French colonial dimension, in particular, and his successor, deep scratches raises several epistemological and political problematic and in the field of thinking in shaping the relationship with him on ideological or linguistic or historical level ; Without forgetting the features of contemporary cultural identity in which they embodied the various fields: cultural heritage, theater, cinema and the arts.

Key words: the privacy of cultural identity, the Algerian personality, the Islamic religion, cultural heritage.

تسلط الدراسة الضوء على خصوصية الهوية الثقافية في الشخصية الجزائرية، إذ لا يمكن الحديث عن الهوية الثقافية في المجتمع الجزائري دون الإشارة إلى جملة من القضايا المحورية والمصيرية في تاريخه وحاضره، لاسيما في ما يرتبط بعلاقته بقيم الدين الإسلامي في ظل الانتماء الإثني والجغرافي المقرر تاريخا، إضافة للبعد الاستعماري الفرنسي على وجه الخصوص وما خلفه من خدوش عميقة تطرح عدة إشكالات معرفية وسياسية في مجال التفكير في رسم العلاقة معه على المستوى الأيديولوجي أو اللغوي أو التاريخي، دون أن ننسى ملامح هويته الثقافية المعاصرة التي تتجسد في مختلف المجالات: التراث الثقافي، المسرح، السينما والفنون الموسيقية.

الكلمات المفتاحية: خصوصية الهوية الثقافية، الشخصية الجزائرية، الدين الإسلامي، التراث الثقافي.

مقدمة:

إن الحديث عن الخصوصية الثقافية وإقرانها بالخصوصية الحضارية إنما هو في الحقيقة حديث عن وجودنا التاريخي والجغرافي، هذا الوجود الذي يحدد خصوصيتنا الثقافية ويشكل هويتنا وانتماءنا أمام الآخر، فالخصوصية هذه ترافق الشعوب والأمم والجماعات البشرية على الرغم ما بلغته الإنسانية من تفاعل وتشابك في المصالح والعلاقات¹.

وتعني خصوصية الثقافة حميمية الإنسان والمجتمع المنتج والقيمة الذاتية للإنتاج الفكري والاجتماعي ونوعية الحياة المعاشة، وبالخصوصية الثقافية يكتسب كل مجتمع إنساني حقه المشروع في أن يكون مختلفا². فمصطلح الخصوصية الثقافية لمجتمع ما يشير إلى الاختلاف عن الآخر، ويشير إلى سيادة ثقافية لهذا المجتمع وكل مجتمع له حقه المشروع في ممارسة وأداء وتأكيد هذه الخصوصية، وهذا ما يندرج بالضرورة في التعددية الثقافية.

وبالعودة إلى الخصوصية الثقافية الجزائرية فيعرفها الأستاذ الدكتور عبد الله بوجلالة إجرائيا على أنها: "العناصر الثقافية المادية الروحية والقيمية والحياتية الموروثة والمكتسبة والتي تقوم بوظائف إيجابية في حفظ التماسك الاجتماعي والأسري وضبط وتوجيه سلوك الأفراد والعلاقات الاجتماعية والإنتاجية وتحدد تصورات وأهداف أبناء الشعب الجزائري الحضارية والتنموية حاضرا مستقبلا"³. فمجتمعنا الذي نحيا فيه يملك إنفرادا لهويته الثقافية، بل يكاد الأمر يكون أبعد من ذلك في المجتمع الواحد، إذ يشتمل كل مجتمع على تقسيمات فرعية داخله، وتزداد تلك التقسيمات كلما تقدمت وزادت درجة التخصص بين أعضائه، وتتميز كل جماعة بنظم وعناصر ثقافية خاصة بها ولا توجد في كثير من الأحيان عند غيرها.

¹ - عدنان السيد حسين، متطلبات الأمن الثقافي العربي، دراسة في الاستراتيجيات والسياسات، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، الثقافة العربية أسئلة التطور والمستقبل، ع29، بيروت، ديسمبر 2003، ص 303.

² - عبدالله بوجلالة، العولمة وأثرها على الخصوصية الثقافية، الجزائر نموذجا، أعمال الملتقى الدولي الأول لكلية العلوم

السياسية والإعلام حول: الدولة الوطنية والتحولت الراهنة، دار هومة، الجزائر، 2004، ص ص 210 209.

³ - المرجع نفسه، ص 266.

فلا يمكن لمجتمع ما أن يحدد مكانة له في التاريخ إن لم يكون صورة واضحة المعالم عن كيانه الاجتماعي والثقافي، إذ يشير المفكر العربي برهان غليون في نفس السياق إلى أنه لا تستطيع الجماعة أو الفرد إنجاز مشروع مهما كان نوعه أو حجمه، دون أن تعرف نفسها وتحدد مكانها ودورها وشرعية وجودها كجماعة متميزة، فقبل أن تنهض لا بد لها أن تكون ذاتا.

وعلى ضوء ما سبق تتحدد مشكلة دراستنا في بحث موقع الهوية الثقافية في التراث المعرفي، لتتعمق أكثر في خصوصية الهوية الثقافية الجزائرية لأهمية الدور الذي تلعبه الجوانب الثقافية المتأصلة في عمق التاريخ السياسي والاجتماعي لبلدنا.

أولا: ماهية الهوية الثقافية

1- مفهوم الثقافة:

أ- لغة: لم يتفق العلماء في تحديد مفهوم الثقافة، ويزداد لفظ الثقافة اتساعا وتعدادا فمن الناحية الدلالية اللغوية تعني كلمة أو مصطلح "ثقّف" في اللغة العربية قَوْم الشيء، أي قومه عندما كان معوجا وغير سوي، فقال العرب "ثقفت الرمح" أي قومته¹، أي جعلته على أحسن صورة، وأيضا يأخذ المصطلح معنى الإصلاح وإعادة الشيء على حاله وأيضا التصحيح.

ب- اصطلاحا: إذا كانت الثقافة تعبيراً عن أوجه النشاط الإنساني منذ كانت الحياة فإن مفهومها الحديث جاء من أوروبا مع عصر النهضة وتعددت مدلولاتها وتعريفها حتى بلغت في المائة سنة الأخيرة على الأقل مائة وستين تعريفاً²، والثقافة كما عرفها تايلور بأنها "ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة، والعقائد، والفن والأخلاق، والقانون والعرف، وكل المقدسات، والعادات الأخرى، التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع"³.

2- مفهوم الهوية:

أ- لغة: يعتبر موضوع الهوية من المواضيع التي لاقى اهتمام العلماء والباحثين وقد تم تعريفها في مختلف العلوم والمجالات، حيث تدل في معناها العام على ماهية الشيء أو الشخص الذي يحمل سمات خاصة تختلف عن الأشخاص أو الأشياء الأخرى، إذ أن

¹ - أسعد السحمراني، *ولايات العولمة على الدين واللغة والثقافة*، ط1، دار النفائس، 2002، ص 82.

² - الطاهر لبيب، *سوسيولوجية الثقافة*، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1978، ص 6.

³ - تهباني الكيال، *الثقافة والثقافات الفرعية*، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1997، ص 30.

الهوية هي كلمة مركبة من ضمير الغائب "هو" مضاف إليه ياء النسبة التي تتعلق بوجود الشيء المعني كما هو في الواقع بخصائصه ومميزاته التي يعرف بها¹.

ب- اصطلاحاً: تعرف "الهوية" على أنها الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب²، أي تلك الصفة الثابتة والذات التي لا تتبدل ولا تتأثر ولا تسمح لغيرها من الهويات أن تصبح مكانها أو تكون نقيضاً لها، فالهوية تبقى قائمة ما دامت الذات قائمة وعلى قيد الحياة، وهذه الميزات هي التي تميز الأمم عن بعضها البعض وتعبّر عن شخصيتها وحضارتها ووجودها.

وعلى هذا المستوى تقسم الهوية إلى نوعين:

أ- هوية فردية: هي التي تمثل المميزات والخصائص الجسدية التي تميز الإنسان، من حيث كونه فرداً، عن بقية الأفراد سواء داخل مجتمعه أو خارجه لعل أبرز مثال على ذلك بصمات أصابع اليد.

ب- هوية وطنية أو قومية: وهي جملة الصفات والخصائص التي تطبع أمة من الأمم، يشترك فيها مجموع الأفراد المكونون لها، فيتعرفون على بعضهم البعض من خلال هذه الصفات، و يتميزون بها كذلك عن غيرهم من أفراد الأمم الأخرى³.

3- مفهوم الهوية الثقافية:

فيما يخص الهوية الثقافية والحضارية لأمة من الأمم فهي القدر الثابت والجوهري والمشارك من السمات والقسيمات العامة، التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات، والتي تجعل للشخصية الوطنية أو القومية طابعاً تميز به عن الشخصيات الوطنية والقومية الأخرى⁴، ومنه فإن الهوية الثقافية تتحقق وتتجسد في المجتمع عندما يتكلم أفرادها نفس اللغة، ويتبعون نفس الدين والمعتقدات ويقومون بنفس الأنشطة الاجتماعية.

4- خصائص الهوية الثقافية:

يمكن التعبير عن خصائص الهوية الثقافية في النقاط الآتية:

¹ - أحمد بن نعمان، الهوية الوطنية، دار الأمة، الجزائر، 1995، ص 21.

² - الشريف علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1995، ص 257.

³ - أحمد بن نعمان، مرجع سبق ذكره، ص ص 21 22.

⁴ - عبد العزيز بن عثمان التويجري وآخرون، العولمة والهوية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1997، ص 166.

- أنها هوية مكتسبة موروثية يصنعها تاريخ الأمة، وثقافتها، وما تمر به من تجارب وخبرات، وهي المعبرة عن ذاتها الجماعية، أو الرمز الذي يجتمع عليه كل أفرادها، انتماء واعتزاز، تعلقا وانتسابا، حيث يشكل المساس بها مساسا بكيان الماضي للأمة كلها، لأنه يعد تشكيكا في ماضيها وطعنا في حاضرها، ويأسا من مستقبلها، فبي وإن كانت من صنع الماضي إلا أنها موجودة في حاضرها، مما يجعل منها دافعا وحافزا للبحث عن المستقبل الأفضل.

- الهوية موجودة في الضمير الجمعي للأمة وملك لها، إلا أنها قابلة للتطور والتفاعل مع الهويات الأخرى.

- الهوية عملية اعتقاد وإرادة، ذلك أن الاعتقاد والإرادة وليس الإلزام هما ما يميز الهوية، فالهوية ليست القانون، ولا يجب أن تكون مساوية له، فالإسلام مثلا وهو أحد المركبات الأساسية للهوية في كل الأقطار العربية قد يتعارض مع القانون جزئيا أو كليا، فالالتزام بتعاليم الإسلام لا تتبع هنا من إلزامية القانون، بل من اعتقاد الشعوب¹.

- الهوية عملية أيديولوجية، حيث تصطف وتؤدلج من قبل نخبة سياسية معينة، وذلك بانتقاء عناصر معينة لتبنيها، ثم تحدد الهوية الأصلية من خلالها وتضفي عليها هالة من القداسة والسمو².

-الهوية تقوم على مبدأ الوحدة والتنوع الذي يشكل عامل إثراء وإخصاب لها، ويمكن تصنيف الأفراد بحسب ما اكتسبوه من ثقافات إلى قوالب متعددة، تتميز عن بعضها البعض من خلال خصائص مشتركة لكل قالب ثقافي معين، بحيث تشكل هذه الخصائص المميزة هوية هذا القالب وعلى مستوى المجتمعات.

- الهوية عملية تميز واختلاف كونها تنفرد بجملة خصائص تجعل صاحبها مغايرا لغيره، فمهما تشابه الناس، واشتركوا في الخصائص الحضارية والثقافية التي تميز الإنسان نوعيا عن غيره من الكائنات، فإنهم لا يعبرون عن أنفسهم إلا من خلال أشكال فردية شديدة الخصوصية.

- الهوية عملية تفاعل وتكامل، حيث أنها تتشكل عبر تفاعل وتكامل مجموعة من الرقائق التي تتراكم عبر الزمن، وهذا التفاعل والتكامل بين المكونات هو ما من شأنه خلق التوازن

¹ محمد صالح الهرماسي، مقارنة في إشكالية الهوية، ط2، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2002، ص 26.

² - نور الدين بومهرة، الجزائر والعولمة، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 2001، ص 212.

داخل الهوية، وتغيبب أسباب الصراع والنفي، الأمر الذي يسهم في الاتفاق العام حولها، سواء من طرف الجماعة أو الأفراد المكونين لهذه الجماعة.

- الهوية عملية ديناميكية، كونها تتكون من مجموعة من العناصر، فهي بالضرورة متغيرة، في ذات الوقت الذي تتميز فيه بالثبات، فهي كالكائن البشري الذي يولد ويشب ويشيخ، ومع المراحل العمرية المختلفة تتغير ملامحه وتصرفاته وذوقه وكل عناصر شخصيته، لكنه يبقى هو نفسه¹.

ثانيا: أبعاد الهوية الثقافية في الشخصية الجزائرية

تتكون الهوية الثقافية الجزائرية من أبعاد ومقومات تركز عليها، سنبينها كالآتي:

أ- البعد الزمكاني: تحتل الجزائر مركزا جغرافيا هاما وموقعا استراتيجيا بين قارات العالم القديم والمتمثلة في إفريقيا وأوروبا وآسيا، والجزائر بلد إفريقي وجزء من إقليم حوض البحر المتوسط، حيث انبعثت على ضفاف هذا الحوض عدة حضارات كالفينيقية، اليونانية والرومانية، وهي ليست بعيدة عن أوروبا، فسواحلها قريبة من سواحل أوروبا، ومن جهة أخرى تعد الجزائر جزءا من الوطن العربي، ومهد الحضارات الإنسانية، أهمها الحضارة العربية الإسلامية، ومهبط الوحي ومكان الديانات السماوية (اليهودية والمسيحية والإسلامية)، وموطن مبعث الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الجزيرة العربية ونزول القرآن، وانتشار الإسلام وقيام العرب بفتحات².

إن الحدود السياسية للجزائر في القرن 20 لم تكن ثابتة، ولم تكن تطلق كلمة الجزائر إلا على مدينة ساحلية صغيرة ولم تكن تعني القطر الجزائري المعروف الآن، فهذا المفهوم لكلمة الجزائر لم يعرف إلا منذ القرن العاشر، بل إن عبارة المغرب الأوسط لم تكن تعني بالضبط حدود الجزائر الحالية، لأن هذه العبارة وأمثالها (المغرب الأدنى- المغرب الأقصى)، كانت كلها غامضة³.

ولكن ظهور الخطر الأوروبي حمل حكام الولايات العثمانية لشمال إفريقيا على التضامن مع بعضهم وتجاوز الخلافات الطرفية، وبعد احتلال الجزائر سنة 1830 فصلت الحدود

¹ - المرجع نفسه، ص 212.

² - محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 73.

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري (20-16م)، ج 1، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ص 28.

مع تونس وأصبحت الجزائر ساحة حرب، وأصبحت السلطة الفرنسية تراقب منطقة الحدود وتمنع دخول القبائل، ومنعت كل تبادل تجاري بين تونس والجزائر¹، ومن هنا يكون المستعمر الفرنسي قد لعب دورا أساسيا في رسم ملامح الهوية الزمكانية للهوية الجزائرية، بل وجوده كان سببا في ظهور الهويات العرقية، الدينية والوطنية والحدود المكانية، والخريطة السياسية.

ب- البعد الإثني: ونعني به الأصل الذي ينتمي إليه الجزائريون الذين يعودون إلى الجذور البربرية والعربية الإسلامية. حيث يقسم علماء الإثنوغرافيا الكولونيالية سكان الجزائر إلى قسمين أو عنصرين متميزين، العنصر الأمازيغي (بربر)، والعنصر العربي (البدو)، وبالرغم من كونهما مسلمين من أربعة عشر قرنا، إلا أن عاداتهما وتكوين مجتمعهما وأصلهما ولغتهما قد يشكل كل ذلك قسمين كبيرين مختلفين، ولكن البربر والبدو يتشابهان في النظام الاجتماعي الذي تشكله القبيلة القائمة على العصبية².

ج- البعد اللغوي: إن اللغة من أهم محددات الهوية الثقافية التي تعبر عن الثقافة الوطنية من أفكار ومعتقدات للأفراد، واللغة هي التي تجعل وجود الثقافة وتناقلا من فرد لآخر ومن جيل لآخر أمرا ممكن الحدوث، فاللغة هي المكون الرئيس في الهوية الثقافية، فهي حياة الأمة وهي بدايتها ونهايتها، لأن اللغة في أي مجتمع ليست مجرد كلمات وألفاظ للتفاهم بين أفراد المجتمع، ولكنها وعاء يحوي مكونات عقلية ووجدانية ومعتقدات وخصوصيات هذا المجتمع، وبالتالي فالحفاظ على اللغة يعني ضمان بقاء واستمرارية أي مجتمع.

وما يلفت الانتباه في الجزائر هو وجود التنوعات اللغوية، ويعود الأمر إلى تشابك وتداخل عدة مجتمعات متعايشة لها تصوراتها ومجالات استعمال بعينها، وكذا من حيث الممارسات الحقيقية للناطقين، وبإلقاء الضوء على واقع اللغة التي صنعت تفرد الإنسان الجزائري وتميزه في مجتمعه عن غيره من البشر في مختلف المجتمعات، يمكن تمييز أربعة أنساق لغوية منتشرة هي:

¹ - خليفة شاطر، بروز الهوية الوطنية القومية في تونس، قضايا عربية، الشخصية المغربية في المغرب العربي، ع2، بيروت، 1979، ص 292.

² - Eugène Daumas, *Mœurs et coutumes de l'Algérie*, édition Sindbad, Paris, 1971, p 25.

- اللغة العربية الفصحى: ما نلاحظه أن الجزائر احتفظت بلغتها العربية الفصحى، فاللغة العربية هي اللغة الأم للثقافة الإسلامية¹، والهوية الثقافية للأمة العربية إنما هي حالة ذاتية خاصة ترتبط بمعوقات وجودها ولكن اللغة العربية هي العامل الأساسي المحرك لهذه الذاتية وشرط حصانتها وديمومتها²، فاللغة العربية عرفها الجزائريون بموجب قدوم الفاتحين المسلمين إلى شمال إفريقيا تم تعريب المجال الجغرافي وأسلمته في الآن نفسه، حيث جرى هذا التعريب ببطء عبر فترة طويلة امتدت من أيام عقبة بن نافع في القرن السابع إلى غاية وصول القبائل، أو الهلالية، الأمر الذي جعل اللغة العربية تترع على عرش اللسان الجزائري دونما مقاومة*، أو رفض، لارتباطها بالإسلام وبشكل وثيق جدا، حيث أصبحت دول شمال إفريقيا تمثل مقاطعة نائية تابعة للعروبة.

- اللغة الأمازيغية: في الجزائر نجد قسما كبيرا يتكلم اللغة الأمازيغية بشتى لهجاتها في العديد من مناطق البلاد وهي تتمركز بشكل ملحوظ في منطقة القبائل و جبال الأوراس، كما يستخدمها الطوارق (أمازيغ الصحراء) في الصحراء الكبرى، وكانت تستخدم اللغة الأمازيغية في عموم الجزائر حتى قدوم الفينيقيين، حيث شهدت تلك المرحلة استخدام كتابة التفيناغ، وعلى الرغم من انتشار البيونيقية، واللاتينية والعربية فيما بعد، إلا أن اللغة الأمازيغية ظلت اللغة الأساسية للجزائريين حتى هجرات بني هلال في القرن الحادي عشر.

وبالاعتماد على المحدد اللغوي للمجموعة الإثنية، وبفعل العوامل التاريخية، يمكن الانتهاء إلى تحديد المناطق المرشحة وفق هذا المنظور لتشكيل هوية إثنية متميزة: منطقة جبال الأوراس: يتحدث قاطنوها بالشاوية [ثشاويث، لهجة زناتية]، منطقة القبائل: يتحدث قاطنوها بالقبائلية [ثقباليث]، منطقة شنوة بتييازة [إيشنوين]: يتحدثون [ثشنويث، لهجة قريبة للزناتية]، منطقة وادي ميزاب: الناطقون بالميزابية

¹ - يوسف القرضاوي، الصحوحة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي، منتدى الفكر العربي، الأردن، 1998، ص 18.

² - صالح أبو أصعب، تحديات الإعلام العربي، دراسة الإعلام، المصداقية، الحرية، التنمية، والهيمنة الثقافية، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1999، ص 46.

* وقد كان لتواجد هذا العنصر العربي دور بارز ليس فقط في تشكيل التضاريس الإثنية واللغوية للبلاد بل وأيضا في تدويب الكثير من النتوات العرقية واللغوية الأخرى، فيا يسميه البعض (الاستعراب)، فاللغة العربية في الجزائر إذن مرجعية تاريخية مرتبطة بالدين، ولذا كانت هذه اللغة قداسها مستمدة من قداسة الإسلام، وقد ساعد هذا الأمر في المحافظة على وحدة اللغة، خاصة إذا عرفنا أن التشكيل الديني عند مجموع السكان لا يخرج في مجوعه عن الإسلام.

يتحدثون [تمزابيث، لهجة زناتية]، أمازيغ تيماسين- تقرت: وهي مجموعة صغيرة تتحدث لهجة أمازيغية زناتية، أمازيغ ورقلة: مجموعة صغيرة أيضا تتحدث لهجة زناتية [ثقرقنت]، أمازيغ منطقة تيميمون: وهي مجموعة أكبر نسبيا تتحدث لهجة زناتية [ثازناتيث]، منطقة الأهقار: وهي المنطقة الرئيسية بالنسبة لطوارق الجزائر [يترقين]، تتحدث بالترقية [ثاترقيث]، أمازيغ منطقة عين صالح: مجموعة أمازيغية زناتية تتحدث [ثيدكلث]، وأخيرا هناك مجموعة أصغر تتحدث لهجة قريبة للشلوحية [لهجة أطلسية] منطقة ندرومة بتلمسان¹.

- اللهجة الدارجة: أما اللهجة العامية الجزائرية، فهي مزيج هائل مستمد من العربية الفصحى والأمازيغية والفرنسية، وحتى بعض الرواسب التركية، وهي أكثر الأنساق التي يمكن الخروج منها بملاحظات مثل²:

- يلاحظ بأن التراكيب اللسانية العامية المستمدة من العربية الفصحى قد تم تحويلها على مستوى النطق عن طريق الحذف بشكل خاص، مثلا: تحويل كلمة "يستقصي" بمعنى يسأل أو يبحث إلى "يسقسي".

- كما أن التراكيب المستمدة من الفرنسية قد تمت قولبتها لتتماشي واللسان العامي الجزائري، حيث تمت إعادة صياغتها على الأوزان اللغوية العربية والأمازيغية أيضا، مثلا: كلمة "آري arrêt" قد اندمجت تماما في الدارجة الجزائرية بعد أن تغير نطقها قليلا عن أصلها، كما صار جمع هذه الكلمة على وزن عربي خالص "لاريات".

- كما تأثر اللسان الأمازيغي باللغة العربية الفصحى، وأخذ منها الكثير من التراكيب والمصطلحات فهو نفسه أعطى الدارجة الجزائرية الكثير من التراكيب والعبارات مثلا: يقال عادة عن الرجل الشهم في المجتمع الجزائري بأنه "ذرقاز"، وهي عبارة أمازيغية من أصل "آرقاز" التي تعني الرجل أيضا.

- إضافة إلى بعض التراكيب اللغوية القديمة المستمدة من التواجد التركي بالجزائر مثل عبارة "قهوجي"، "خزناجي" وكلمة "قاوري" التي تعني بالتركية "خزير".

¹ - عادل زقاع، مرجع سبق ذكره، ص ص 143 123.

² - ميمونة منصارية، هوية المجتمع المحلي في مواجهة العولمة، من منظور أساتذة جامعة بسكرة، أطروحة مقدمة لنيل رسالة الدكتوراه في علم اجتماع التنمية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر-بسكرة، الجزائر، 2011-212، ص ص 298 297.

- بسبب الشساعة الجغرافية للجزائر واختلاف أنماطها المعيشية والثقافية باختلاف مناطقها، فالدارجة نفسها تختلف بأشكال طفيفة أحيانا، ومتفاوتة أحيانا أخرى، بحسب تقارب المناطق من بعضها والعكس، سواء على مستوى التراكيب أو المضامين، أو على المستوى النطقي والصوتي، فسكان الغرب الجزائري مثلا لهم فنونومات (النگمات الصوتية) مختلفة عن فنونومات سكان الشرق، حتى في التراكيب والعبارات المشتركة، هذا ناهيك عن أقصى الجنوب كمنطقة تمنراست وتيميمون.

- اللغة الفرنسية: يتم تداول اللغة الفرنسية بشكل واسع في الإدارات العمومية والهيئات الحكومية، لسيطرة الجيل القديم (الجيل الذي تعلم في عهد الاحتلال الفرنسي) على المناصب الحساسة في الدولة وهيئاتها، وهي مستعملة في مستويات مختلفة من النخبة والجيل الثاني من المغتربين في فرنسا¹.

د- البعد الديني: يشكل الدين الإسلامي في الجزائر جوهر الهوية المحلية، فالدين هو المكون الأول لهويتنا الثقافية، لأنه هو الذي يحدد للأمة فلسفتها الأساسية عن سر الحياة وغاية الوجود، كما يجيب عن الأسئلة الخالدة التي فرضت نفسها على الإنسان في كل زمان ومكان، فالإسلام له تأثيره العميق والشامل في هويتنا الثقافية، كما أن التوحيد بمعناه الشامل يمثل أبرز ملامح هويتنا الثقافية، والتدين هنا لا يعني ممارسة الشعائر الدينية وحدها، بل هو موقف من ثوابت كثيرة، منها ما يرتبط بالأسرة وكيفية تكوينها بشكل صحيح، فهذا مكون رئيسي من مكونات الهوية الثقافية، ومنها ما يرتبط بالمنهج العلمي الذي اعتمد على العقل والوحي بشكل متوازن، وهذا يمثل أيضا ملمحا من ملامح هويتنا الثقافية².

ه- التاريخ: إن الباحث في الثقافة الجزائرية بوصفها استمرارية للزمن، يجد تاريخا مميذا جمع شمل كل الجزائريين بلا استثناء، كثورة التحرير الجزائرية التي شارك في إنجازها جميع الجزائريين، وقطف ثمار الاعتزاز بمآثرها جميع الجزائريين أيضا، مما يوحي بهوية جزائرية صرفة لا تقبل المجادلة ولا تقبل المراهنة على أي مركب من مركباتها، ونفس الأمر

¹ - المجلس الأعلى للغة العربية، دور القنوات الإذاعية في ترقية استعمال اللغة العربية وتهذيب أساليبها، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، د.س.ن، ص24.

² - محمد أحمد محمد إسماعيل، برنامج مقترح لتفعيل دور أنشطة نادي الطفل لتأصيل الهوية الثقافية، مجلة كلية التربية، ج3، ع30، جامعة عين شمس، 2006، ص391.

ينطبق على الجزائريين في عهد الستينات وسينطبق على الجزائريين بعد قرون، إذ ما دام الفرد جزائرياً فإن الانتماء للمأثر الجزائرية يظل حقا مشروعا له، فجزائر القرن الواحد والعشرين ليست جزائر المائتين قبل الميلاد لكنها تمثل امتدادا لها، ويجد الجزائريون في كل المراحل المتعاقبة والوضعيات التاريخية ما ينعش الذاكرة ويشكل مصدر الإلهام الثقافي، ولذلك فإنه مهما تغيرت الأزمان فإن الهوية تبقى هوية جزائرية¹.

و- العادات والتقاليد: تعتبر العادات والتقاليد أحد مكونات الهوية الثقافية وتختلف من منطقة إلى أخرى باختلاف مجتمعاتها، فالعادات والتقاليد هي مجموعة الأفعال والسلوكيات التي تفرضها الجماعة على أعضائها، والتي تنتقل من جيل لآخر عن طريق التوارث.

وبالرجوع إلى الجزائر نجد أن اتساع الإقليم الجزائري أوجد اختلافا في بعض العادات والتقاليد بين عدة جهات، بالرغم من القاسم المشترك في طبيعة المناسبات سواء كانت دينية أو اجتماعية، والمقصود بوجود اختلاف هو في طريقة الاحتفال وأنواع المآدب التي تحضر في هذه المناسبات، وكذا في كل الأزياء المعبرة عن الفرحة بإحيائها، بالإضافة إلى عادات وتقاليد تضم الشعائر والطقوس والآثار الشعبية القديمة المأثورة من احتفالات الزواج، الختان، الأعياد الشعبية، الطعام الأمثال والحكم الشعبية وغيرها، وستعرض فيما يأتي البعض منها:

- الاحتفالات الأسرية، الزواج، الختان: تختلف عادات إقامة أعراس الزواج في الجزائر من منطقة إلى أخرى، كما تختلف طريقة تحضير الطعام واللباس والاحتفالات الغنائية واللهجات، حيث أن مساحة دولة الجزائر مساحة كبيرة تختلف فيها الثقافات، وبالتالي تتعدد العادات والتقاليد الخاصة بترتيبات الزواج والمهر والخطوبة والأزياء التي يتم ارتداؤها في تلك المناسبات، ففي المجتمع الجزائري تختلف عادات الشرق عن الغرب أو الوسط فيما يخص تحضيرات الزواج، فالعروس التلمسانية تصنع جهاز زواجها بيدها على ماكينة الخياطة ويطلقون عليه "القش"، في حين أن عائلات وهران لا تزال تحافظ على عادات وتقاليد الأجداد فلا يتسنى للعريس أن يرى عروسه إلا مرة واحدة مع أهله عند الخطبة، أما في منطقة القبائل فتختلف عادات عقد الزواج فيذبح جدي يسال دمه على عتبة باب بيت الزوجية، وتخرج الفتاة من تحت ذراع وليها أو أبيها، وفي شرشال

¹ - ميونة مناصرية، مرجع سبق ذكره، ص 127.

وحسب عرف سيدي معمر فيشترط على العروس أن تخرج من بيت أبيها إلى بيت أبيها حافية القدمين¹، أما بالنسبة للباس العروس فيختلف من منطقة إلى أخرى ويتنوع بين الفرقاني العنابي، الكراكو الجزائري، الجبة القبائلية، القفطان التلمساني والوهراني، الملحفة الشرشالية، وتختلف الأكلات في هذه المناسبة بين الكسكسي، الشخشوخة، الشوربة... الخ.

أما الختان فتتفق معظم العائلات على ختان أولادهم في شهر رمضان في النصف أو اليوم السابع والعشرين أو قد يتجاوز ذلك إلى أحد العيدين (الفرط أو الأضحى) أو في عيد المولد النبوي الشريف، ويظهر التنوع الثقافي في طريقة الاحتفال بهذه المناسبة وأبرز هذه العادات وضع "قصبه" فوق بيت الاحتفال بها خيطان من الصوف بيضاء وحمراء للدلالة على وجود ختان.

-الأعياد الشعبية: يتأصل في الجزائر باختلاف ولاياتها أكثر من 250 عيداً شعبياً متجزراً منذ القدم، وهذا في مختلف أنحاء الوطن من الجنوب إلى الشمال ومن الشرق إلى الغرب، حيث تعتبر هذه الأعياد من العادات المتأصلة والتقاليد التي يحتفظ بها كل جزائري².

-الأمثال الشعبية: تعبر الأمثال الشعبية عن فلسفة المجتمع اتجاه جوانب الحياة الإنسانية ورصد لأنماط سلوك أصحابها اتجاه المواقف المتعددة، كما تعد عنصراً هاماً في بيئة الثقافة المحلية، وتؤثر الأمثال على تفكير الناس وتصرفاتهم، حيث يتم تناقلها عبر الأجيال لأنها سهلة الحفظ والانتشار وسريعة النفاذ إلى العقول والنفوس، ويمكننا تعريف المثل الشعبي على أنه: "عبارات موجزة سهلة النطق وبسيطة المعنى وعبرة عن خلاصة لتجارب أشخاص ما، توارثتها الأجيال وأخذت منها العبرة والتفكير"³.

وبالنظر إلى المجتمع الجزائري نجده يحتوي على عدد كبير من الأمثال الشعبية، والسبب راجع إلى شساعة الجزائر، وتعدد الثقافات فيها، وبالعودة إلى تاريخها عن الأمثال الشعبية، نجد الثقافة الجزائرية قد حظيت بموروث هام من كلام الأولين الذي توارثه جيل نقلا عن جيل مشكلا بذلك حلقة امتدادا لعلاقة مجتمعية ترتبط بمدلولاتها

¹ - <http://www.djelfa.info/vb/showthread> (consulté le 25/02/2016 10:30h).

² - <http://www.algeria-today.com> (consulté le 28/02/2016 16:05h).

³ - فاتن محمد الشريف، الثقافة والفولكلور، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، القاهرة، 2008، ص 105.

الثقافية والدينية والحياتية. ولعل الأمثال الشعبية أبرز تلك الموروثات التي تناقلتها الأجيال، والتي لازالت إلى اليوم تحظى بمكانتها الرفيعة رغم أن عمر بعضها يمتد إلى مئات السنوات، وربما السبب في ذلك راجع إلى كونها لا ترتبط بزمان ولا مكان، لتعبر عن كل واقع تصاغ فيه بطريقة خاصة لقائلها.

وعلى الرغم من أن هذه الأمثال تختلف في ألفاظها إلا أنها تلتقي في مضمونها مع اختلاف مصادرها، وبكل بساطة فهي تعبير عفوي عن موقف أو حدث موجز البلاغة، والعالم العربي عامة والجزائر خاصة مليئة بالحكم والأمثال الشعبية التي نتعلم منها الحكمة والعديد من الفضائل والخصال الحميدة، فأجدادنا لم يتركوا مثلاً إلا وتضمن موعظة، فهناك أمثال عن الحب ونبذ الكراهية والذكاء والغباء والصبر والإيمان والنصح، وعلاقة الأم بأولادها، أو علاقة النسب والأنساب، وكلها تحض على الترابط ونبذ الخصال السيئة والابتعاد عنها، وباستعمالها يحاول شباب اليوم من جهة الرجوع إلى ماضيهم وأصالتهم، ومن جهة أخرى الاقتداء بها وتقويم السلوك في المجتمع¹.

ومن أهم الأمثال الشعبية التي يستعملها في حديثهم: "أنا وخويا على وليد عمي، وأنا ووليد عمي على البراني"، دليل على وجوب الوقوف سندا لأقرب ذوي القربى"، "عيش تسمع، عيش تشوف" بمعنى مع مر السنين سنرى مالا يخطر ببال أحد، "الدار دارنا والحيوط نتاع جارنا" وهي عبارة تسند إلى حكاية رجل حل ضيفا عند أحد أصدقائه، وعند دخوله المنزل سأله إن كان هذا المنزل له أم هو مؤجر، فأجابه المضيف "الدار دارنا والحيوط نتاع جارنا"، فذهب كلامه مثلاً يقال لمن لا يقول الحقيقة بصريح العبارة.

ثالثاً: ملامح الهوية الثقافية الجزائرية المعاصرة

تتضح ملامح الهوية الثقافية الجزائرية المعاصرة بالوقوف عند أهم مكوناتها، مبرزين جهود الدولة للحفاظ على هذه الهوية:

¹ - وداد لعوج، الأمثال الشعبية الجزائرية.. إرث لا يزال له حضوره في اللسان الشعبي، <http://www.elmakam.com/?p=8903>، (رؤج يوم 2016/05/17).

1- التراث الثقافي: تم منذ عام 1999 إعادة تنظيم عميقة على المستويين التنظيمي والمؤسساتي لحماية التراث الثقافي، إذ كان التراث الثقافي مختزلاً في البعد الأثري فقط، ولم يكن يعني سوى الجزء الشمالي من البلاد، لذا تم تحويل الوكالة الوطنية للآثار وحماية المواقع والمعالم التاريخية إلى ثلاثة كيانات مستقلة كلت كل واحدة من الثلاثة بقطاع معين وهي¹:

-ديوان تسيير واستغلال الممتلكات الثقافية.

-المركز الوطني لأبحاث الآثار.

-المركز الوطني لحفظ وترميم الممتلكات الثقافية.

كما تم إنشاء المركز الوطني للمخطوطات بولاية أدرار سنة 2005.

2- المسرح والسينما: كان الإنتاج المسرحي قبل عام 1999 لا يتجاوز 10 مسرحيات سنويا، وفي عام 2007 تم إنتاج ونشر ما يقارب 47 مسرحية وتوزيعها على كامل التراب الوطني من خلال 850 عرضا وشاهدها ما يقارب 300 ألف متفرج، وتواصلت الديناميكية في سنة 2008 بميزانية تبلغ 240 مليون دينار جزائري لإنتاج 52 مسرحية، كما جرى ترسيم المهرجان الوطني للمسرح المحترف الذي بدأ في عام 2006.

تمثل السينما صناعة ثقافية كبيرة التزم القطاع بتلقيها وتشجيعها، وقد تمحورت الأعمال المنجزة منذ عام 2004 حول ما يلي:

- إنشاء مركز وطني للسينما والإنتاج السمعي البصري.

- تحويل المعهد الوطني للفنون الدرامية إلى معهد عال لحرف السمعي البصري، وفنون العرض من خلال إدراج تعليم اختصاصات السينما، لاسيما فروع التكوين في مجال الصوت والصورة.

- إعادة تأهيل الإنتاج السينماتوغرافي بوضع أجهزة التصوير مجانا تحت التصرف، وتقديم

مساعادات مالية لـ 113 مشروعا سينمائيا منذ سنة 2002، يندرج 50 منها في إطار سنة 2007 وحدها و15 لسنة 2008.

وفي إطار برنامج التنمية 2009-2014 تجري إعادة صياغة الإطار القانوني من خلال مشروع قانون خاص بالإبداع السينمائي، واستكمال تأهيل شبكة متحف السينما (17)

¹ - عليا الجباخني، الثقافة الجزائرية، استعادة معالم الهوية وتجديدها، مجلة المعرفة، ع 176، 2009، ص 26.

واستعادة حوالي 300 قاعة عرض سينمائي ظلت مغلقة أو حولت عن وظيفتها الرئيسية، وتعزيز قدرات تمويل السينما، من خلال صندوق تطوير الفنون والتقنيات والصناعة السينمائية، وبعث التكوين في مجال الحرف الفنية وتقنيات السينما.

3- الفنون الموسيقية: تم منذ سنة 1999 إنشاء الأوركسترا السيمفونية الوطنية وثلاث مجموعات محلية وفرقة وطنية للموسيقى الأندلسية وكذا فرقة للموسيقى الشعبية، وتزامن مع هذا تأسيس المركز الوطني للبحث في مراحل ما قبل التاريخ والأنثروبولوجيا، والمركز الوطني للدراسات الأندلسية بولاية تلمسان، وكان قد تم الشروع في تطبيق عملية على نطاق واسع لتسجيل وتدوين التراث الموسيقي الوطني سنة 1998 في إطار حماية التراث الموسيقي بكل أنواعه وطبوعه الجزائرية المتميزة بمختلف تعبيراتها، وتتضمن خطة قطاع الثقافة بين سنتي 2009-2014 مايلي¹:

- تشجيع تطوير تعليم الموسيقى في الأوساط المدرسية بالتنسيق مع وزارة التربية الوطنية.
- تشجيع إنشاء المعاهد البلدية للموسيقى وتحضير تأطيرها.

وتعرف الموسيقى بالجزائر تمايزا واضحا بين مختلف الطبوع باختلاف المناطق، فمنها الشعبي المنتشر بالجزائر العاصمة، وطابع المؤلف المعبر عن أصالة وتراث عريقين بولايات منطقة الشرق الجزائري، والطابع الحوزي والأندلسي الذي تختص به المناطق الغربية من البلاد، ثم الطابع الصحراوي والترقي بأقصى الجنوب الصحراوي الكبير.

¹ - <http://www.m-culture.gov.dz/mc2/ar/musique.php> (consulté le 29/01/2016 18:10h).

الخاتمة:

إن المجتمع الجزائري له كيانه الخاص، فهو من أمة لها ترابط داخلي ويتميز عن سواه من المجتمعات وثقافته ليست روح الشعب فقط، بل نتاج مكاسب هذا الشعب باحتكاكه بالشعوب العربية الإسلامية خاصة والشعوب الأخرى عامة، وبالثقافات والحضارات المختلفة ووسائل الحياة المادية وتطبيقاتها¹.

وهكذا يمكن القول أن هناك شخصية جزائرية تبتنى عبر العصور والشخصية الجزائرية الحديثة هي ثغرة التفاعل بين الماضي والحاضر وهي تتكون من مقومات بعضها ثابت وبعضها متغير، فأما الثوابت فهي المكان ثم البعد الزمني الذي يحدد الذاكرة المختزنة للجماعة البشرية المعينة على مر الزمن، مكوناتها من لغة ودين، وعلم وأدب وفن، ونظم وحكم وقيم، ثم هناك عوامل متغيرة وتتشكل من التشكيلة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ومن تفاعل كل هذه العوامل تتشكل خصوصية الهوية الثقافية للشخصية الجزائرية.

¹ - محمد الطمار، مرجع سبق ذكره، ص 10

المراجع:

1- باللغة العربية:

أ- الكتب:

- 1- أبو أصعب صالح، تحديات الإعلام العربي، دراسة الإعلام، المصادقية، الحرية، التنمية، والهيمنة الثقافية، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1999.
- 2- الجرجاني الشريف علي بن محمد، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1995.
- 3- السحمراني أسعد، ويلات العولة على الدين واللغة والثقافة، ط1، دار النفائس، 2002.
- 4- الشريف فاتن محمد، الثقافة والفلكلور، دار الوفاء لنديا للطباعة والنشر، القاهرة، 2008.
- 5- الطمار محمد، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.
- 6- القرضاوي يوسف، الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي، منتدى الفكر العربي، الأردن، 1998.
- 7- المجلس الأعلى للغة العربية، دور القنوات الإذاعية في ترقية استعمال اللغة العربية وتهذيب أساليبها، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، د.س.ن.
- 8- الكيال تهماني، الثقافة والثقافات الفرعية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1997.
- 9- الهرماسي محمد صالح ، مقارنة في إشكالية الهوية، ط2، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2002.
- 10- بن نعمان أحمد، الهوية الوطنية، دار الأمة، الجزائر، 1995.
- 11- بومهرة نور الدين، الجزائر والعولمة، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 2001.
- 12- حسين عدنان السيد، متطلبات الأمن الثقافي العربي، دراسة في الاستراتيجيات والسياسات، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، الثقافة العربية أسئلة التطور والمستقبل، ع29، بيروت، ديسمبر، 2003.
- 13- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري (20-16م)، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1985.

14- لبيب الطاهر، سوسيولوجية الثقافة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1978.

ب- المجالات والدوريات:

1- إسماعيل محمد أحمد محمد، برنامج مقترح لتفعيل دور أنشطة نادي الطفل لتأصيل الهوية الثقافية، مجلة كلية التربية، ج3، ع30، جامعة عين شمس، 2006.

2- الجباخنجي عليا، الثقافة الجزائرية، استعادة معالم الهوية وتجديدها، مجلة المعرفة، ع176، 2009.

3- شاطر خليفة، بروز الهوية الوطنية القومية في تونس، قضايا عربية، الشخصية المغربية في المغرب العربي، ع2، بيروت، 1979.

ج- الأطروحات والرسائل الجامعية:

1- مناصرية ميمونة، هوية المجتمع المحلي في مواجهة العولمة، من منظور أساتذة جامعة بسكرة، أطروحة مقدمة لنيل رسالة الدكتوراه في علم اجتماع التنمية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر-بسكرة، الجزائر، 2011-2012.

د- المؤتمرات والندوات:

1- التويجري عبد العزيز بن عثمان وآخرون، العولمة والهوية، الهوية والعولمة من منظور حق التنوع الثقافي في ضوء فلسفة حوار الأديان والحضارات، الدورة الأولى، الرباط، المملكة المغربية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1997.

هـ- المواقع الإلكترونية:

1- وداد لعوج، الأمثال الشعبية الجزائرية.. إرث لا يزال له حضوره في اللسان الشعبي، <http://www.elmakam.com/?p=8903>، (روجع يوم 2016/05/17).

2- <http://www.djelfa.info/vb/showthread> (consulté le 25/02/2016 10:30h).

3- <http://www.algeria-today.com> (consulté le 28/02/2016 16:05h).

2- باللغة الأجنبية:

أ- الكتب:

1- Eugène Daumas, Mœurs et coutumes de l'Algérie, édition sindbad, Paris, 1971.